آخ يا طرابلس!

ماذا يحدث في طرابلس؟! لماذا يتم إلغاء الأحداث الثقافية بهذه البساطة دون أي سبب مبرر ومعقول؟ إلغاء مهرجان "كابريوليه" في طرابلس، وهو واحد من بين العديد من أمثاله، حثّني إلى كتابة هذا المقال. باتت تتزايد المحاولات في هذه المدينة لغسل العقول وتقييد حرية التعبير والعمل باسم دين يُساء فهمه، وأشخاص يعتبرون أنفسهم مدافعين عن شرف المدينة. نتساءل من نصبهم في هذا المنصب! حتى لو أن بعض الأفلام القصيرة تتناول قضايا تستفز بعض الأشخاص، لا يحق لهم منع الآخرين من مشاهدتها والتحدث عنها. على حدّ علمي، نحن لسنا في أفغانستان، حيث الأمور تتم وفق الشريعة، بل نحن في مدينة لبنانية، ثاني أكبر مدينة في البلاد، وتعرف عامة بـ "مدينة العلم والعلماء".

كما أننا نعتبر أن موافقة رئيس وزراء البلاد، وهو من أبناء المدينة، على هذه الممارسات هو أمر صادم بكل بساطة، لأنه الضامن لحرية التعبير ويجب عليه فرض احترام القانون. ليس من المفترض على الهيئات الدينية أن تُدير الشؤون الثقافية: يمكنها إبداء رأيها، مثل الجميع، لكنها لا تملك الحق في التأثير على برمجة ثقافية. من يعتقد أن الأفلام المعروضة لا تتوافق مع رؤيته للحياة له كل الحق في المقاطعة، لكنه لا يملك الحق في منع الآخرين من المشاركة.

أين طرابلس القديمة، حيث كان السكان في وئام، وحيث كان الجميع يتعايشون باحترام متبادل؟ كانوا يمارسون الإسلام الصوفي الذي يسمح لكل شخص بممارسة دينه بحرية مع احترام معتقدات الآخرين.

لقد تغيرت المدينة منذ وصول حركة إسلامية متشدّدة من الخارج خلال الحرب الأهلية. استفادت هذه الحركة من الفوضى الناتجة عن الحرب وحاولت فرض قوانينها الخاصة بمنع بعض الحريات، وخصوصاً في المدارس حيث تمارس حرية التعبير. ففُرضت نوع من الدكتاتورية على المدينة من قبل رجال مسلحين ومتسلّطين. لحسن الحظ لم تدم هذه الحالة لأنّ لدى الطرابلسيين استقلالية في الفكر ووعي لا يمكن لأحد القضاء عليه.

وبالرغم من ذلك، نرى منذ عدّة سنوات عودة لتصرفات مشابهة لتلك التي كانت سائدة في زمن الحرب: كحظر فتح المطاعم خلال شهر رمضان (وكأن الأزمة الاقتصادية ليست كافية)، وإلغاء الفعاليات الثقافية باسم نظريات مفذلكة، وغيرها. وبات كل شخص يسمح لنفسه بإطلاق الأحكام علنا دون أي خجل. هذه هي النتيجة الحتمية لدولة فاشلة، حيث يمنح كل فرد نفسه الحق في النقد والحظر باسم أحكامه الشخصية.

لنتوقف عن إيذاء أنفسنا! دعونا لا ننسى أن طرابلس كانت، منذ وقت ليس بطويل، تُلقب بـ "عروس الثورة"، بسبب مطالبتها لمجتمع عادل وحر وغير فاسد، حيث يمكن للجميع أن

يعيشوا بسلام واحترام لبعضهم البعض. تعاني المدينة بالفعل من وضع اقتصادي كارثي، ونقص في المشاريع القابلة للتنفيذ، وبطالة تصل إلى ذروتها. وحدها الثقافة هي التي تمنحهم فرصة للانفتاح على العالم، فلماذا نُغلق عليهم الأبواب؟

بدلاً من التفكير في وسائل لتقليل البطالة وفتح المصانع المغلقة خلال الحرب، مما يتيح لأولئك الذين ليس لديهم عمل أن يعيشوا بكرامة، بدلا من ان نقضي وقتنا في التشهير والهجوم، من فضلكم، دعوا الناس تعيش وتتنفس، واتركوا طرابلس في سلام!